حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ

الزَّوَاجُ المُبَارَك

كتبها
سمير حلبي

رسوم
عبد المرضى عبيد

obeikandl.com

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

٢٠٠٣/رقم الإيداع ٢٠٠٦٤

الترقيم الدولي I.S.B.N.977-361-194- 9

جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد

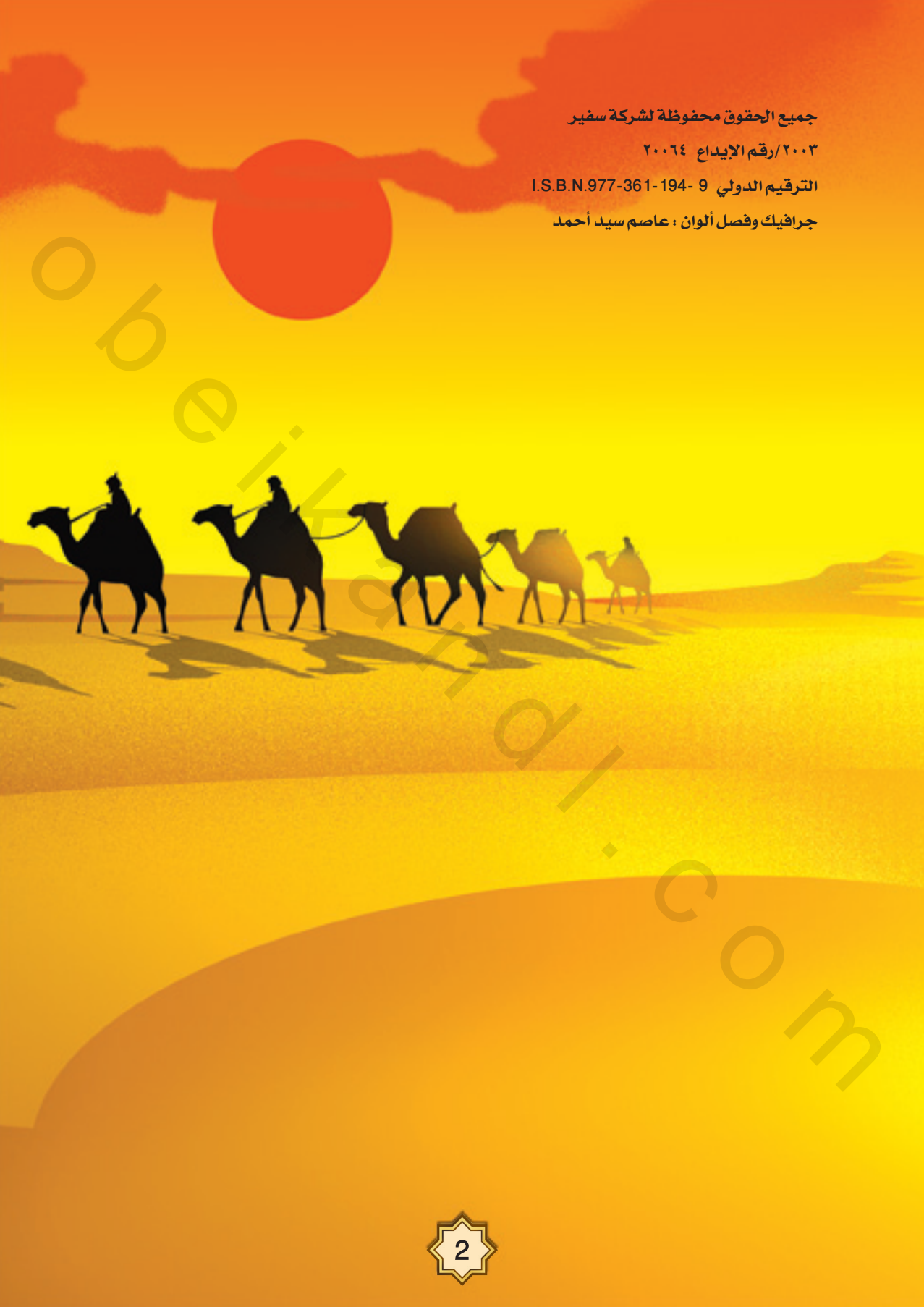

obeikandl.com

اقتَرَبَتِ الشّـمْسُ مِنَ الغُروبِ، وامتَزَجَتْ أَشِـعَّتُها الحَمْرَاءُ بِرِمَالِ الصَّحْرَاءِ الصَّفْرَاءِ عَلَى مَرْمَـى الأُفُقِ، وَتَلَوَّنَتِ السَّمَاءُ بِحُمْرَةِ الشَّفَقِ الدَّاكِنَةِ، وَمِنْ بَعِيدٍ بَدَتْ أَشْبَاحٌ وَخَيَالاتٌ تَتَحَرَّكُ فِى الأُفُقِ البَعِيدِ عَلَى مَرْمَـى البَصَرِ، بَدَأَتْ تَقْتَرِبُ رُوَيْـدًا رُوَيْدًا حَتَّى ظَهَرَتْ مَعَالِمُ القَافِلَةِ العَائِـدَةِ مِنَ «الشَّامِ» وَهِـىَ تَتَّخِذُ طَرِيقَهَا المَعْهُودَ عَائِـدةً إِلَـى «مَكَّةَ».

obeikandl.com

تَسَابَقَ أَهْلُ «مَكَّةَ» لاسْتِقْبَالِ القَافِلَةِ المُحَمَّلَةِ بِبَضَائِعِ «الشَّامِ»، التِى طَالَمَـا انْتَظَرُوا قُدُومَهَا ، والتِى اعتَادُوا أَنْ تَجْلِبَ إِلَيْهِم مَا يَحْتَاجُونَهُ مِـنَ الزَّيْتِ والدَّقِيقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِـنْ أَصْنَافِ الطَّعَامِ، وَأَنْواعِ الثِّيَابِ والمَلابِسِ الفَاخِرَةِ التِى اشْتُهِرَتْ بِهَا بِلادُ «الشَّامِ».

وأَسْـرَعَ العَائِدُونَ مِـنْ رِجَالِ القَافِلَـةِ نَحْوَ الكَعْبَـةِ، لِيَطُوفُوا حَوْلَ تِلْكَ التَّمَاثِيلِ التِى تَنَاثَرتْ مِنْ حَوْلِها، وَيُقَدِّمُوا إِلَيْها الهَدَايا والقَرَابِينَ التِى أَحْضَرُوها لآلِهَتِهِم مِنْ بِلادِ «الشَّامِ».

وَبِرَغْـمِ التَّعَـبِ وَالإِعْيَاءِ اللَّذَيـن أَصَابَا «أَبَا طَالِـبٍ» طَوَالَ تِلْكَ الرِّحْلَـةِ الشَّاقَّـةِ، فإنَّه أَسْرَعَ مَعَ بَقِيَّـةِ رِجَالِ القَافِلَـةِ، لِيُؤَدُّوا تِلكَ المَنَاسِكَ التِى اعْتَادُوا القِيَامَ بِهَا بَعْدَ كُلِّ رِحْلَةٍ.

لَـمْ تَكُـنْ دَهْشَةُ «أَبى طَالِبٍ» كَبِيرَةً حِينَمَـا اعْتَذَرَ «مُحَمَّدٌ» عَنِ الذَّهَابِ مَعَهُ للتَّبَرُّكِ بِآلِهَةِ «قُرَيْشٍ»، وَتَقْدِيمِ الهَدَايَا لَهَا، فَلَطَالَمَا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَوْمُه فِى زِيَارَتِها وَالتَّقَرُّبِ إِلَيهَا، لَكِنَّه كَانَ دَائِمًا يُعْرِضُ عَنْهُم وَيَسْخَـرُ مِنْ تِلْكَ الأَصْنَـامِ، وَيَتَنَدَّرُ بِجَهْلِ أُولَئِـكَ الذِينَ يَصْنَعونَها بِأَيْدِيهِم، ثُمَّ يَعْبُدونَها مِنْ دُونِ اللّهِ!...

مَـرَّتْ سَنَواتٌ وَسَنَـواتٌ وَأَصْبَحَ «مُحَمَّدٌ» شَابًّا فِـى العِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ حَدَثَ أَمْرٌ خَطِيرٌ بَدَّلَ سُكُونَ «مَكَّةَ» وَهُدُوءَهَا إلى حَرْبٍ طَاحِنَةٍ وَأَحْدَاثٍ دَامِيَةٍ رَاحَ ضَحِيَّتَها عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ «مَكَّةَ»؛

فَقَدْ دَارَتْ حَرْبٌ شَدِيدَةٌ بَيْنَ بَعْضِ القَبَائِلِ سُمِّيَتْ «حَرْبَ الفُجَارِ» لأَنَّ تِلْكَ القَبَائِلَ المُتَحَارِبَةَ اعْتَدَتْ عَلَى أَمْنِ «مَكَّةَ»، واسْتَبَاحَتْ حُرُمَاتِهَا التى كانَتْ مُقَدَّسَةً عِنْدَ العَرَبِ.

وأَسْرَعَ العقَلاءُ مِـنْ أَهْلِ «مَكَّةَ» لِتَدَارُكِ الأمْرِ، وإنْقَاذِ النَّاسِ مِنْ تِلْـك الحَرْبِ التِى اشْتَعَلَتْ نِيرَانُهَا بِسُرْعةٍ، وَكَادَتْ تَنْتَشِرُ بَيْنَ جَمِيعِ قَبَائِلِ العَرَبِ.

وَدَعَتْ «قُرَيْشٌ» إِلَـى حِلْفٍ جَدِيدٍ لَيْنَ العَرَبِ لِيُصْلِحَ بَيْنَ المُتَحَارِبِينَ وَيَقْضِـى بَيْـنَ المُتَخَاصِمِينَ، وَسَمُّوا ذَلِكَ الحِلـفَ «حِلْف الفُضُولِ».

اجتَمَـعَ زُعَمَـاءُ «مَكَّـةَ» وَرُؤَسَاءُ القَبَائِـلِ المُتَحَارِبَـةِ فِي دَارِ رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ «مَكَّةَ» اسْمُه «عَبْدُ اللّه بنُ جُدْعَان»، وَتَعَاهَدَ الحَاضِرُونَ مِنْ قَبَائِـلِ العَرَبِ عَلى ألا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مِنْ أَهْلِهَا أَوْ مِنْ غَيرِهِمْ إلا نَصَرُوه ، وَرَدُّوا الظُّلْمَ عَنْهُ، وَأَخَذُوا الحَقَّ مِنَ الظَّالِمِ.

فَـرِحَ أَهْلُ «مَكَّةَ» بِمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ زُعَمَاءُ «قُرَيْشٍ» مِنْ إِقْرَارِ هَذَا الحِلْـفِ الجَدِيدِ، الذِى يُحَقِّقُ الأَمْنَ وَالسَّلامَ لأَهْلِ «مَكَّةَ» وَالمُقِيمِينَ بِهَـا مِنْ قَبَائِـلِ العَـرَبِ، وَكَانَ «مُحَمَّدٌ» قَدْ حَضَرَ هَـذَا الحِلْفَ مَعَ أَعْمَامِـهِ ، وظَلَّ يَعْتَزُّ بِـهِ طَوَالَ حَيَاتِهِ؛ لِمَا فِيه مِـنْ مَظَاهِرِ التَّعَاوُنِ وَالبِرِّ والسَّلامِ.

وَهَكَـذَا عَـادَ الأَمْـنُ والسَّـلامُ يُرَفْرِفَانِ فَـوْقَ رُبُـوعِ «مَكَّةَ» مِنْ جَدِيدٍ.

كَانَـتْ «مَكَّـةُ» مَرْكَـزًا لِقَوَافِلِ تِجَارَةِ العَرَبِ سَوَاءٌ القَادِمَةُ مِنَ « اليَمَنِ» أو الرَّاحِلَـةُ إِلَـى «الشَّامِ»، كَمَـا كَانَتْ مَحَطَّ أَنْظَـارِ القَبَائِلِ، بِمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ مَكَانَةٍ دِينيَّةٍ لِوُجُودِ «الكَعْبَـةِ» بِهَا ، وبِمَـا اشْتُهِرَتْ بِهِ مِنْ أسواقٍ عَظِيمَـةٍ يتبَـارَى فيهَا

التُجَّارُ بِتَقْدِيمِ أَنْفَسِ البَضَائِعِ ، ويَتَنَافَسُ الشُّعَراءُ والخُطَبَاءُ بِعَرْضِ أَشْعَارِهم وإِظْهَارِ مَوَاهِبِهِم.

وَكَانَ إِهْتِمَامُ أَهْلِ «مَكَّةَ» كَبِيرًا بِمَجَالِسِ اللَّهْوِ والطَّرَبِ التِى يَحْرِصُ عَلَى حُضُورِهَا كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ وَالشُّيُوخِ.

وَلَكِنَّ «مُحَمَّدًا» كَانَ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ أَقْرَانِهِ وَرِفَاقِهِ، فَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ المَجَالِسُ والأَنْدِيَةُ تَسْتَهْوِيهِ كَمَا تَسْتَهْوِى غَيْرَهُ مِنَ الشَّبَابِ، وَقَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ بِكَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ والأَخْلاقِ الحَمِيدَةِ حَتَّى أَطْلَقُوا عَلَيْهِ «الصَادِقَ الأَمِينَ».

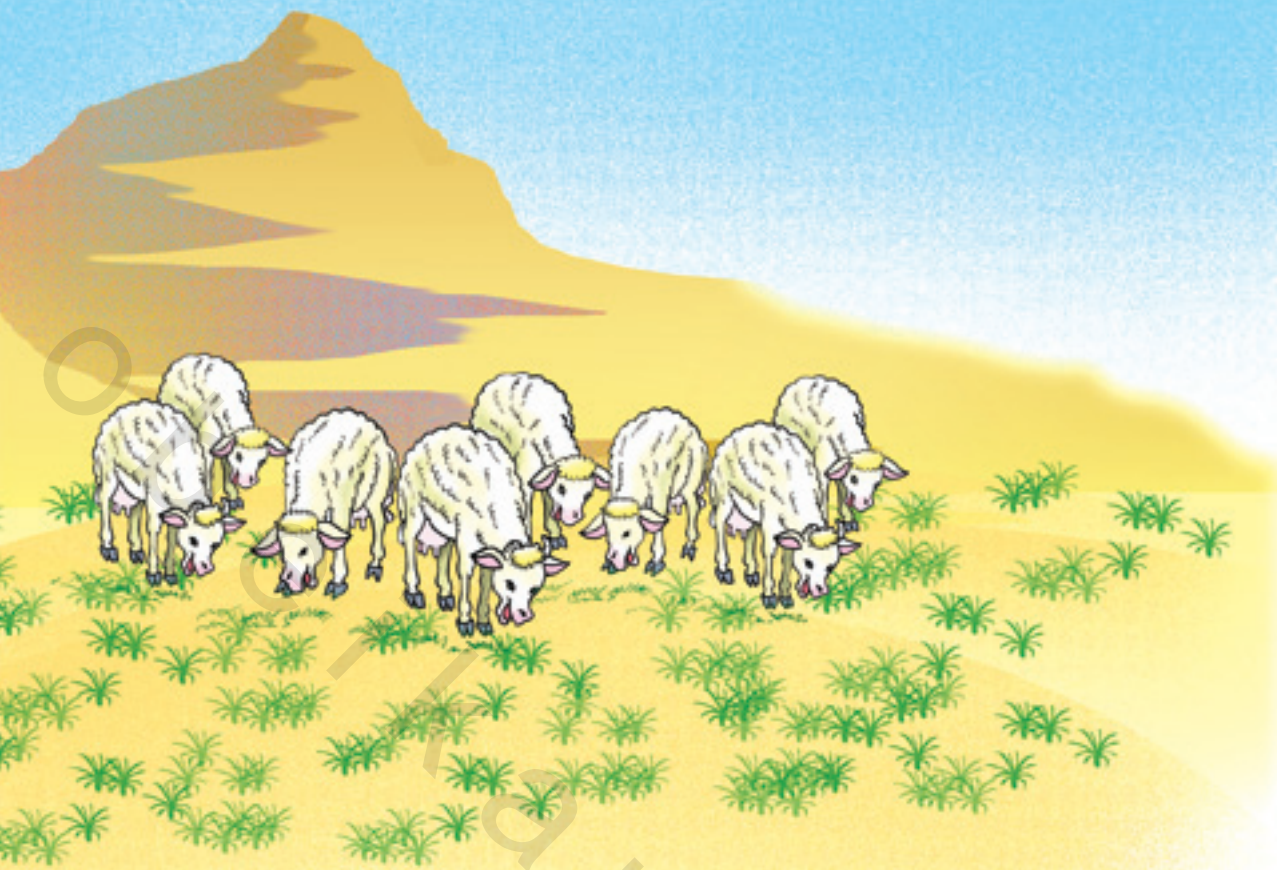

أرَادَ «مُحَمَّـدٌ» أَنْ يُسَاعِدَ عَمَّهُ «أَبَا طَالِبٍ» فَعَمِلَ بِالرَّعْيِ، وَهِىَ الحِرْفَـةُ التـى كَانَ يَعْتَمِـدُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ «مَكَّـةَ» فِى حَيَاتِهم ومَعَاشِهِم.

وَحِينَمَـا بَلَغَ الخَامِسَةَ والعِشْرِينَ عَرَضَ عَلَيهِ عَمُّهُ أَنْ يَعْمَلَ فِى التِّجَارَةِ، وَرَشَّحَ لَهُ سَيِّدَةً تَاجِرَةً مِنْ أَشْرَافِ «مَكَّةَ» وأَثْرِيَائِهم، لِيُتَاجِرَ لَهَا فِى مَالِهَا ، وَهِىَ السَّيِّدَةُ «خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ».

خَرَجَ «مُحَمَّدٌ» إلَى «الشَّامِ» مَرَّةً أُخْرَى فِى قَافِلَةٍ كَبِيرةٍ للسَّيِّدَةِ «خَدِيجَـةَ» وَسَافَـرَ مَعَهُ غُلامٌ لَهَـا اسْمُهُ «مَيْسَـرَةُ». وتَعَلَّقَتْ نَفْسُ «مَيْسَـرَةَ» بِمُحَمَّدٍ مُنْـذُ أَنْ رَآه، وَازْدَادَ إعجَابُهُ بِهِ وَتَعَلُّقُه بِه بَعْدَ أَنْ شَاهَدَ بِنَفْسِهِ مَظَاهِرَ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ.

واسْتَطَاعَ «مُحَمَّدٌ» أَنْ يُحَقِقَ رِبْحًا عَظِيمًا فِى تِلْكَ الرِّحْلَةِ.

عَـادَ «مَيْسَـرَةُ» لِيُحَدِّثَ سَيِّدَتَـهُ «خَدِيجَةَ» بِمَا سَمِعَـهُ وَرَآه مِنْ أَخْلاقِ «مُحَمَّدٍ» وَأَمَانَتِهِ، وَكَانَ لِكَلِمَاتِ «مَيْسَرَةَ» أَثَرٌ كَبِيرٌ فِى نَفْسِ السَّيِّدَةِ «خَدِيجَةَ» فَقَدِ ازدَادَتْ مَكَانَةُ «مُحَمَّدٍ» فِى نَفْسِها وَشَعَرَتْ

بِمَزِيدٍ مِنَ التَّقْدِيرِ لَهُ ، وَفَكَّرَتْ فِى الزَّوَاجِ مِنْهُ، فَلَمْ تَتَرَدَّدْ طَوِيلاً، وَقَرَّرَتْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ رَغْبَتِهِ فِى الزَّوَاجِ مِنْهَا .

كَانَتْ فَرْحَةُ السَّيِّدَةِ «خَدِيجَةَ» عَظِيمَةً حِينَمَا عَلِمَتْ بِرَغْبَةِ «مُحَمَّدٍ» فِى الزَّوَاجِ مِنْهَا ، وَجَاءَ «مُحَمَّدٌ» مَعَ أَعْمَامِهِ إِلَى دَارِ «خَدِيجَةَ» لِخِطْبَتِهَا .

وَسُرْعَانَ مَا تَمَّ الزَّوَاجُ، وَاحْتَفَلَ أَهْلُ «مَكَّةَ» جَمِيعًا بِزَوَاجِهِمَا .

obeikandl.com